المحـور التاسع

الشِّعر والأدب والحوار

غير مرخصة للطباعة

١٤٨

عالم وطـاغية

سعيد بن جبير والحجّاج بن يوسف

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٣].

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن طارق بن شـــهاب قال: جـــاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أيُّ الجهـــاد أفضل؟ قال: «**كلمة حقٍّ عند إمام جائر**» رواه أحمد والنسائي.

عن عبـــد الله بن عمـــرو، أنَّ النبـــيَّ ﷺ قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**». رواه الترمذي والنسائي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه المسرحيَّة جديدةٌ قديمة، جديدةٌ في صورتها هذه، قديمةٌ في موضوعها نَفْسِه.

فقد كنتُ كتبتُها بشكلٍ آخر منذ سبعة عشر عامًا، وقُدِّر لها أنْ تُمثَّل وأنْ تَلقى نجاحًا وقَبولًا حسنًا، ثمَّ قدِّر لها أنْ تضيع مِنِّي فلا أجدَها. وهنا تعود بي الذاكرة إلى سنة ١٩٤٩م، إذ كنتُ أحد الطلاب الَّذين اختطفتهم «كلاب الصيد» وألقت بنا في بطون المعتقلات ما بين «هايكستب» و«جبل الطور» من أراضي مصر، وما نقموا مِنَّا إلَّا أنَّنا ندعو إلى الإسلام الصحيح: دينًا ودولةً، عبادةً وقيادةً، صلاةً وجهادًا، مصحفًا وسيفًا.

وفي معتقل «هايكستب» في الصحراء كنتُ أقرأُ في كتب الأدب والتاريخ، فكان ممَّا راقني وأثَّر في نفسي موقف سَعِيد بن جُبَيْر العالم الفقيه الشجاع، من الطاغية المتجبِّر الحجَّاج بن يوسف. وكان لي شغفٌ بالأدب المسرحي حينذاك، حتَّى إنَّني ألَّفت ـ وأنا طالب بالصف الأوَّل الثانوي ـ مسرحيَّة شعريَّة، عُنوانها «يوسف الصِّدِّيق». ولهذا رأيت قصَّة سعيد مع الحجَّاج صالحةً لأن تكون مسرحيَّة ذات هدفٍ ورسالة، وخاصَّة أنَّنا كُنَّا نصارع طغيانًا كطغيان الحجَّاج، فما أحوجنا إلى مواقفَ كموقف سعيد! وكتبت المسرحيَّة، ومُثِّلت في معتقل الطُّور، وضاعت أخيرًا.

QaradawiBooks.com

واليوم يُعيد التاريخ نَفْسَه، وتتكرَّر المأساة، ويتجدَّد الطغيان والاضطهاد لحملة الدعوة الإسلاميَّة، ولكن بصورةٍ أعنفَ وأقسى، وأشدَّ ضراوةً ووحشيَّةً، وتبرز مواقفُ كمواقفِ سعيدٍ في مواجهة طغيان أخبث وأعتى وأشدُّ كفرًا من طغيان الحجَّاج.

ومن هنا وجدت الدافع الَّذي دفعني إلى كتابتها بالأمس لا يزال قائمًا اليوم، بل هو أقوى، وبدأت أكتبها من جديدٍ، مُستلهمًا تاريخ تلك الحقبة الغنيَّة بالبطولات والمواقف الرائعة إلى جوار ما حفلتْ به من مظالمَ، وما طفحتْ به من تجبُّر وطغيان، ومُستهديًا بشخصيَّة سَعِيد بن جُبَيْر، وما عُرِف به من علمٍ وإيمانٍ وشجاعةٍ وثباتٍ، سجَّلتْها لنا كتبُ الأدب والتاريخ والرجال.

ومَن هو سَعِيد بن جُبَيْر؟

إنَّه إمامٌ من أئمَّة التابعين، كان ابن عبَّاس حَبر الأُمَّة إذا سأله أحدٌ من أهل الكوفة في مسألةٍ قال: «أتسألونني وعندكم سَعِيد بن جُبَيْر؟»[(١)].

وقال فيه أحمد بن حنبل: «قُتل سَعِيد بن جُبَيْر وما على وجه الأرض أحدٌ إلَّا وهو محتاج إلى علمه»[(٢)].

وقد أنكر سعيد ـ كما أنكر غيرُه من الفقهاء ـ سِيرَة الحجَّاج في النَّاس، وعُلُوِّه في الأرض بغير الحقِّ، وإذلاله للمسلمين، وسفكه للدماء، ووأده للحرِّيَّات، وانتهاكه للحرمات.

---

(١) ـ رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٥٧/٦)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٢) ـ البداية والنهاية لابن كثير (٤٦٦/١٢)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

ولهذا لم يكد القائد الداهية الشجاع عبد الرحمن بن الأشعث القَيْسي يُعْلِنُ ثورته على الحجَّاج وبني أُمَيَّة، ويزحف بجنوده على العراق، حتَّى انضمَّ إليه كثير من أهل العلم والدين، وفي طليعتهم سَعِيد بن جُبَيْر، وعامر الشَّعْبي، ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير.

ودارت المعارك بين جنود ابن الأشعث وجنود الحجَّاج، انتصر فيها الأوَّل في أوَّل الأمر، ولكن الحجَّاج بدهائه وجبروته وصبره استطاع في النهاية أنْ يتغلَّب ويهزم ابن الأشعث هزيمةً ساحقةً في معركةٍ مشهودةٍ، هي معركة «دَيْر الجماجم»، فقد فرَّ من بعدها ابن الأشعث، وقُتِل مَن قُتل من أنصاره، وأُسِر مَن أُسِر، وهرب مَن هرب.

وكان سَعِيد بن جُبَيْر أحد الَّذين فرُّوا واختَفَوا، وكان المفروض في منطق الإسلام أنْ يُترك هؤلاء الفارُّون المنهزِمُون، ألَّا يُتْبَعَ مُدْبِرُهم، ولا يُقْتَل أسيرُهم، ولا يُجْهَز على جريحهم، ولكن الحجَّاج لم يتقيَّد بهذا الحكم، فقتل كثيرًا من الأسرى، واتَّبع كثيرًا من المُدْبِرين، فجاء بهم وضرب أعناقَهم. وهكذا طلب سعيدًا حتَّى قبض عليه بعد بضعة عشر عامًا، ومع هذه المدَّة الطويلة لم يُسامحْه، وكان من أمره ما كان.

ومضى سَعِيد بن جُبَيْر مثلًا في تاريخ الإسلام للعلماء المجاهدين والدُّعاة الصادقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

المؤلف

يوسف القرضاوي

الدوحة في: ذي الحجة سنة ١٣٨٧هـ

شباط (فبراير) سنة ١٩٦٨م

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفصل الأول

(من منظرٍ واحد)

الزمان: عصر بني أُمَيَّة في عهد عبد المَلِك بن مَرْوان، وفي ولاية الحجَّاج على العراق.

المكان: مدينة واسط بالعراق، وقد اختطها الحجَّاج بين الكوفة والبصرة.

الأشخاص: الحجَّاج، وقد تصدَّر مجلس الإمارة في زهوٍ وخُيَلاء، وحوله أربعة من حاشيته وحرَّاس مُسَلَّحون.

أحد الحاشية: هنيئًا لك أيُّها الأمير ما أحرزتَ من نصرٍ على أعداء أمير المؤمنين وأعدائك.

ثانٍ: إنَّ العراق كلَّه يتحدَّث عمَّا أيَّد الله به الخليفة على يَدَيْك، وعن هزيمة الفاتن المفتون ابن الأشعثِ وأنصارِه المخذولين.

ثالث: لقد غرَّ هؤلاء الطامعين تسامح الأمير ولِينُ جانبه وشفقته على الرعيَّة، فجرَّأهم ذلك على الثورة والعصيان المسلَّح، ولكنَّهم علموا من هم ومن هو الحجَّاج.

الحجَّاج (في زهو وكبرياء): لقد ظنَّ ابن الأشعث أنَّه بانضمام الفقهاء إليه من أمثال سَعِيد بن جُبَيْر، يستطيع أنْ يكسب المعركة، ولكنْ هيهاتَ

غير مرخصة للطباعة

هيهات، إنَّ سيف الحجَّاج لا يُكسر، وجُند ابن مَرْوان لا يُقْهر، وعند «دَيْر الجماجم» الخبرُ اليقين.

رابع: لقد حدَّثني أيُّها الأمير مَن شهدوا معركة «دَيْر الجماجم» كيف عملت سيوفُك في ابن الأشعث وأتباعه، وكيف تطايرت رؤوسهم، وتناثرت أشلاؤهم، فلمَّا حقَّت عليهم الهزيمة استسلموا للأسر أو الفرار.

الحجَّاج: إنَّ هؤلاء لم يتَّعظوا بما جرى لابن الزُّبَيْر وغير ابن الزُّبَيْر على يد الحجَّاج، فكان عاقبتهم ما ترون! فلْيُوقدوا ما شاءت لهم ظُنونهم من نار الفتن، فأنا لها، أنا لها!

الثالث (مرة أخرى): ولكنْ أيُّها الأمير، إيَّاك أن تأخذَنَّكَ الرأفةُ بأسرى المعركة الَّذين لم يستسلموا إلَّا مُرْغَمِين، وصدورهم تغلي حقدًا عليك وعلى بني أُمَيَّة. ولا تنسَ هؤلاء الفقهاء الَّذين أيَّدوا ابن الأشعث وناصروه، لا بمجرَّد الكلام، بل بحَدِّ الحُسام، وبخاصَّة ذلك الشيخ المُسمَّى سَعِيد بن جُبَيْر.

الحجَّاج: نحن بانتظار كتاب من أمير المؤمنين في شأنهم، ولعلَّه يصل اليوم.

الأوَّل: أمير المؤمنين لا يأمر فيهم بغير السيف جزاء ما قدَّمت أيديهم، ومَن سلَّ سيف البغي قُتل به.

الثاني: صدقتَ، والبادي أظلم.

الحاجب: وصل بريدُ أمير المؤمنين.

الحجَّاج: هو ما كُنَّا ننتظره، ائتني بالكتاب.

QaradawiBooks.com

(الحجَّاج يفُضُّ الكتاب، ويقرأ بصوتٍ مسموع): «سلام عليك وعلى من معك. أمَّـا بعد: فكل مَن شـارك في فتنة ابن الأشـعث في معركة «الجماجم» فاعرضه على السَّـيف، فمَن أقرَّ منهم بالكفر بخروجه علينا فخلِّ عنه، ومَن أبى وزعم أنَّه مؤمنٌ فاضربْ عُنُقَه. والسلام».

الحجَّاج لحاجبٍ: نادِ رئيسَ الشرطة.

(يخرج الحاجب فيناديه، فيدخل).

رئيس الشرطة: لبَّيْكَ أيُّها الأمير.

الحجَّاج: اذهبْ إلى السِّـجن فأحضر المتَّهمين بعـد أن تقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين.

رئيس الشرطة: سمعًا وطاعةً أيُّها الأمير.

(يخرج، وبعد لحظات يدخل الحاجب).

الحاجب: بالباب شيخٌ كبير يقول: إنَّ له حاجة إلى الأمير.

الحجَّاج: رُدُّوه، ليس هذا هو يومَ الحوائج وطلَّابَ الحوائج.

الحاجب: لقد انتهره الشرطة فبكى وصاح، وقال: إمَّا أن تقتلوني، أو تدخلوني على الأمير. وهو شَيْخ مُقَوَّس الظهر، تشتعل لحيته شَيْبًا.

الحجَّاج: أدخلْه إذن.

(يدخل شيخٌ وقورٌ ذو لحيةٍ بيضاء)

الشيخ: السلام عليك أيُّها الأمير.

الحجَّاج: وعليكم السلام. ما حاجتك؟

QaradawiBooks.com

الشيخ: لقد أخذتم ابني منذ سنة أو أكثر، فلا أنتم أطلقتموه، ولا أنتم حقَّقتم في أمره، وإنَّ لـه لأمًّا عجوزًا لا يرقأ لها دمـع من أجله، وأختًا أرملة هي أمٌّ لأيتـامٍ ثلاثة، وهـو العائـل الوحيد لهذه الأسـرة كلِّها، والاعتماد بعد الله تعالى عليه.

الحجَّاج غير مُكْتَرِث: ولماذا أخذناه؟

الشيخ محتدًّا: عجبًا! أتحبسون الناس ولا تدرون لماذا حبستموهم؟!

الحجَّاج متلطِّفًا: يا شيخ، المحبوسـون كثيرون، ولكلٍّ منهم جنايته وتُهمته.

الشيخ: إنَّ ابني لم يرتكب جناية، ولا بعض جناية، كلُّ ما في الأمر أنَّ أحد أفراد العشـيرة قد اتَّهمه عُمَّالك، فطلبه ليقبض عليه، فلم يجدْه، فأخذ ابني مكانَه.

الحجَّاج: هذا يحدث، والأجرب قد يعدي السـليم، فـإنْ أردتَ أنْ تفرج عن ابنك فأحضر الرجل الهارب. أمَّا سمعت قول الشاعر:

ولرُبَّ مَأْخُوذٍ بِذَنْبِ عَشِـيرَةٍ ونَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ!

الشيخ في صرامة: ولكنِّي سمعتُ الله تعالى قال غير ذلك!

الحجَّاج: وماذا قال؟

الشيخ: قال تعالى على لسان يوسف: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩].

فهل نُصَدِّق اللهَ تعالى أم نُصَدِّق الشاعر؟!

الحجَّاج: أفحمتني أيُّها الشيخُ وقطعتَ حُجَّتي. أطلقوا سراحَ ابنِه.

QaradawiBooks.com

أحد الحاشية: يا لَلْعدل! حيَّا الله الأمير العادل.

ثانٍ: أميرنا وقَّاف عند كتاب الله.

آخر: الأمير لا يظلم مثقال ذرَّة.

(يخرج الشيخ، وبعد لحظات يدخل الحاجب).

الحاجب: رئيس الشرطة قد حضر ومعه المتَّهمون.

الحجَّاج: أدخلهم واحدًا بعد الآخر.

(يدخل رجل عليه سِيمَا الفروسيَّة، فينظر إليه الحجَّاج بغيظٍ وتجهُّم).

الحجَّاج: أنت أيضًا؟ في كلِّ فتنةٍ نراك! بالأمس كنتَ مع ابن الزُّبَيْر، واليوم مع ابن الأشعث، ولو أنَّ فتنةً قامت في بلاد واق الواق لكنتَ أحدَ دُعاتها، ماذا جنيتَ أيُّها المنافق المغرور غير ذُلِّ الهزيمة وعارها؟!

الرجلُ بثباتٍ واعتدادٍ: والله ما ذلَّ ذو حقٍّ، ولو تألَّبت عليه الدنيا كلُّها، ولا عزَّ ذو باطلٍ ولو طلع من جَبِينه القمر!

الحجَّاج مُهدِّدًا: قتلني اللهُ إن لم أقتُلْكَ!

الرجل: ولكنَّ عاملك أعطاني الأمان على عهد الله وميثاقه.

الحجَّاج: وهل رعيتَ لله عَهْدًا حتَّى نرعى عَهْدَكَ؟!

الرجل: أوَتغدرُ بي يا حجَّاج وتنكث عهد الله من بعد ميثاقه؟

الحجَّاج مُتهرِّبًا من الإجابة: أخبرني ما الَّذي أخرجك علينا هذه المرَّة؟

الرجل باعتدادٍ وقوَّةٍ: ما أخرجني من قبل، وسيخرجني من بعد، إنَّكم تريدونها مُلْكًا عضوضًا، ونحن نريدها خلافةً وشورى. تريدونها كِسْرَويَّة أو قَيْصَرِيَّة، ونحن نريدها قرآنيَّة إسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

الحجَّاج ساخرًا: أَوَتُعلِّمنا أنت الإسلام وفيه شابت نواصينا؟!

الرجل: أوَيجهلُ أحدٌ أنَّ سفك الدماء ومصادرة الأموال وإخافة المسلمين منكر عظيم لا يُقِرُّه الإسلام؟

الحجَّاج: إنَّما نُؤَدِّب أمثالَك من البغاة المُفسدين.

الرجل: وهْبني كنتُ باغيًا، فهل عاملْتَنا بما يُعامَل به البُغاة في شرع الله؟ إنَّ البُغاة لا يُتْبَع مُدْبِرُهم، ولا يُقْتَلُ أسيرُهم، ولا يُجْهَز على جريحهم، ولا يُؤخذ مالُهم.

الحجَّاج: ولكنَّكم لستم مُجَرَّد بُغاةٍ، إنَّكم كفرتم بنقضكم البَيْعة وخروجِكم على أمير المؤمنين.

الرجل: إنَّما خرجنا على الظلم والطغيان بعد أنْ نفد صبرُنا، ولم يخرج ابن الأشعث وحدَه، لقد خرج معه شعبُ العراق، يتقدَّمه علماء العراق. فهل هؤلاء العلماء كُفَّارٌ منافقون، وأنت وجنودك يا حجَّاج المسلمون المؤمنون التائبون العابدون؟!

الحجَّاج مُغْضَبًا: أتسخر بي أيُّها الخبيث؟ لأُلْحِقَنَّكَ بإمامك المفتون الفتَّان ابن الأشعث، اذهبوا به فاضربُوا عُنُقَه.

ثُمَّ تلفَّت إلى الرجل في شماتة قائلًا: لتعلم أيُّنا المقتول المخذول، أنا أم أنت؟!

الرجل: إنِّي أحسب أنَّك لن تموت مقتولًا يا حجَّاج.

الحجَّاج: ولم أيُّها المُتَنَبِّئ؟

الرجل: لأنِّي سمعتُ الصالحين من أمثال: الحسن البصري، وسَعِيد بن جُبَيْر، يدعون الله ألَّا يُميتَكَ مقتولًا، وألَّا تموت إلَّا على فراشِكَ.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحجَّاج مُبتهجًا: الحسن وسعيد يدعوان الله أن أموت على فراشي؟!

الرجل: أجلْ يا حجَّاج، ليدَّخر الله عذابَكَ كُلَّه إلى الآخرة، وهو أشدُّ وأخزى.

الحجَّاج هائجًا: اقتلوا الملعون، اذهبوا به إلى الجلاد.

أحد الحاشية: إنَّه يستحقُّ.

ثانٍ: هذا أقلُّ ما يُجْزَى به مثلُه.

آخر: وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثلُها.

(يدخل من المتَّهمين شيخٌ من بني تميم وشابٌّ من بني بكر).

الحجَّاج للشابِّ: أمؤمنٌ أنت أم كافر يا بَكْري؟

الشاب: أتريدني كافرًا أم مؤمنًا؟

الحجَّاج في صرامة: لا مكان للجدل، كافرٌ أم مؤمن؟

الشابُّ: بل كافر.

الحجَّاج في خُبْث: لكنَّ الشيخ التَّمِيميَّ لا يرضى بالكفر!

الشيخ: أعن نفسي تُخادعني يا حجَّاج؟ والله لو كان شيءٌ أعظم من الكفر لرضيتُ به حتَّى أنجو من سيفك. (فضحك الحجَّاج وأمر بتخلية سبيله).

(ثم يتقدَّم إليه الرجل)

الحجَّاج: على دين مَن أنت؟

الرجل: على دِينِ إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين.

الحجَّاج: اضربوا عُنُق هذا الكذَّاب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(ثمَّ يُقَدَّم رجلٌ آخر)

الحجَّاج: على دين مَن أنت؟

الرجل: على دِينِ الشيخ يُوسُف!

الحجَّاج: أمَّا والله لقد كان صوَّامًا قوَّامًا. خلِّ عنه يا غلام.

(الغلام يفكُّ قَيْد الرجل، فيدنو من الحجَّاج ويقول له في تحدٍّ): يا حجَّاج، سألت صاحبي: على دِينِ مَن أنت؟ فقال: على دين إبراهيم حنيفًا، فأمرتَ به فقُتِل. وسألتني نفس السؤال، فقلتُ: على دين أبيك الشيخ يوسف. فقلتَ: أمَّا والله لقد كان صوَّامًا قوامًا، وأمرتَ بتخلية سبيلي.

الحجَّاج يهزُّ رأسه: نعم، نعم.

الرجل: والله يا حجَّاج لو لم يكن لأبيك من السيِّئات إلَّا أنَّه ولد مثلك لكفاه ذلك شرًّا.

(الحاشية ينظر بعضهم إلى بعضٍ في دهشةٍ وذهولٍ وهمهمةٍ).

الحجَّاج في هِياج وانفعال: اقتلوه. اقتلوا الخبيثَ الملعونَ، اضربوا عنقه.

(ثُمَّ يدخل شابٌّ عليه سِيما الصلاح اسمه ثابت).

أحد الحاشية هامسًا في أُذُن الحجاج: هذا من تلاميذ سَعِيد بن جُبَيْر!

الحجَّاج: أنت من تلاميذ الشيخ الضالِّ المُضِلِّ سَعِيد بن جُبَيْر؟!

ثابت: لا.

الحجَّاج: أوَتُنكرُ صلتَكَ به؟

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثابت: الشـــيخ الَّذي ذكرته لا أعرفـــه، إنَّما أعرف الشـــيخ الصالح المُصْلح العالم المجاهد سَعِيد بن جُبَيْر!

الحجَّاج: الخارج على الخلافة، والســـاعي في الفتنة، صالح مُصْلح أيُّها الجاهل المنافق؟!

ثابت: مَن خرج على دين الله حُقَّ للنـــاس أنْ يخرجوا عليه، والفتنة حقًّا هـــي اضطهاد العلماء والصالحيـــن، وتعذيبهم بغير حـــقٍّ. ألم تقرأ يا حجَّاج قوله تعالـــى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]؟

الحجَّاج: هذا علم سَعِيد بن جُبَيْر؟

ثابت: بل هذا كلام الله وكلام رسوله.

الحجَّاج: والَّـــذي تحلف بـــه، لأحصدنَّكم واحدًا بعـــد الآخر حتَّى لا أبقي منكم باقية.

ثابت: أنت تحصـــد والله يزرع. فانظرْ أين قـــدرةُ المخلوق من قدرة الخالق؟!

الحجَّاج: اقتلوا هذا المتعالِم. (ثم يلتفت إليه ويقول في ســـخريةٍ): لعلَّ شيخك الصالح المُصْلح ينفعك اليوم؟!

ثابت: النفع والضرُّ بيـــد الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعـــراف: ٥٤]، وعلى مثل هذا اليوم وطَّنَّا أنفســـنا... لقد تمَّـــت الصفقة على يديك يا حجَّاج!

الحجَّاج: أيُّ صفقةٍ أيُّها الجاهل المتعالِم؟

QaradawiBooks.com

ثابت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، وهذا يومُ تُسَلَّم السلعةُ لنتسلَّم الثَّمن: الجنَّة يا حجَّاج، ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]؟!

الحجَّاج: لن تجد هناك إلَّا النار. عجِّلوا به، اضربوا عنقه.

ثابت: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه: ٧٢].

(يذهبون بثابتٍ إلى السَّيَّاف)

الحجَّاج: مَن بقي من هؤلاء المارقين؟

رئيس الشرطة: بقي عامرٌ الشَّعْبي، ومُطَرِّف بن عبد الله، وأمَّا سَعِيد بن جُبَيْر فقد فرَّ واختفى كما تعلم.

الحجَّاج: أوَعجزتم بقَضِّكم وقَضِيضكم عن تتبُّع ابن جُبَيْر والقبض عليه؟

رئيس الشرطة: أيَّد الله الأمير، إنَّ بلاد الخلافة واسعة، وفي استطاعة أيِّ إنسان أنْ يهرب ويختفي أيامًا تطول أو تقصر. ولكن لا بدَّ من معرفة مخبئه، والعثور عليه في القريب العاجل.

الحجَّاج: أبقوا الاثنين في السجن حتَّى نظفر بثالثهم، ولن يُفْلِتَ ابن جُبَيْر من قبضتي. أنا الحجَّاج، أنا ابن يوسف!

(ستار)

* * *

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل الثاني

«المنظر الأوّل»

«سَعِيد بن جُبَيْر مختفيًا في بيت أحد تلاميذه بمكَّة، وقد جلسوا حوله في صورة حلقة علميَّة».

سعيد: بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله، ونُصَلِّي ونُسَلِّم على رسوله وعلى آله وصحبه ومَن اتَّبع هداه.

أمَّا بعد، فقد روى معاذ بن جبل عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لن تزول قدما عبدٍ يومَ القيامة حتَّى يُسأل عن أربعٍ: عن عُمُره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟**»[1].

هذا الحديث أيُّها الأبناء يُلقي تبعةً جسيمةً على حملة العلم، فإنَّ الله سائلهم غدًا عن علمهم ماذا عملوا فيه، كما سيسأل كُلَّ مُكَلَّف عن نعمه تعالى عليه: ماذا صنع بها؟ نعمة الحياة، ونعمة الشباب، ونعمة المال، وأخيرًا نعمة العلم، الَّذي ميَّز الله بها الإنسان عن الحيوان. العلم يا أبنائي نعمة جليلة يمنحها الله مَن يشاء من عباده، وشكر هذه النعمة: العمل بها، وتعليمها للنَّاس، فمَن علم وعمل بما علم، فذلك هو العالم الربَّاني، ومَن

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

QaradawiBooks.com

علم علمًا فكتمه عن الناس، وهم محتاجون إليه؛ أُلْجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار، ومَن علم ولم يعملْ بما علم؛ فمثله كمثل الحمار يحمل أسفارًا، ولهذا كان أخوفُ ما يخاف النبيُّ ﷺ على أُمَّته من بعده: المنافق العليم.

أحدهم مُتعجِّبًا: المنافق العليم! كيف يكون المرء عليمًا ومنافقًا في الوقت نفسه؟!

سعيد: عالم اللسان، فارغ القلب من خشية الله تعالى. عن عليِّ بن أبي طالب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَمَا إنِّي لا أتخوَّف عليكم مؤمنًا ولا مشركًا. فأمَّا المؤمن فيحجزُه إيمانُه. وأمَّا المُشْرِك فيقمعُه كفره. ولكن أتخوَّف عليكم منافقًا عالم اللسان يقول ما تعرفون، ويفعل ما تُنكرون**»[(١)]. ذلكم يا أبنائي هو الَّذي امتلأ رأسه بالمعرفة، وفرغ قلبه من الخشية.

تلميذ: وما علامة خشية الله؟

سعيد: علامة الخشية لله أنْ تحول بينك وبين معصية الله.

تلميذ: وما الَّذي يُعين المرء على خشية الله؟

سعيد: ذكر الموت والآخرة، فهو الَّذي يجلو صدأ القلوب، ويخفف من غرور الإنسان بالحياة الدنيا، وقد ترك فينا رسول الله ﷺ واعظين: ناطقًا وصامتًا. فالناطق هو القرآن، والصامت هو الموت، وكفى بهما واعظين! وإنِّي لو فارقني ذكر الموت خشيت أنْ يفسد عليَّ قلبي.

تلميذ آخر: هل يُفهم من ذلك أنَّ المؤمن يحتقر الحياة أو يكرهها؟

---

(١) رواه الطبراني في الصغير (١٠٢٤)، ووالأوسط (٧٠٦٥) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٢١): رواه الطبراني في الصغير والأوسط من رواية الحارث وهو الأعور وقد وثقه ابن حبان وغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٨٤): فيه الحارث الأعور ضعيف جدًّا.

QaradawiBooks.com

سعيد: لا يا بني، إنَّ كلّ يوم يعيشه المؤمن غنيمة، فيه يعبد ربه، أو ينفع خلقه، أو يصلح نفسه، فالدنيا عنده مزرعة للآخرة، يبذر فيها اليوم ليحصد غدًا.

(ثُمَّ يُوَجِّه الحديث إلى الجميع):

يا أبنائي! إنَّ الدنيا لا تزن عند الله جَنـاح بَعوضة، ومن هوانها على الله ألَّا يُعْصَـى إلَّا فيها، وأنَّ أعـداءه تعالى فيها يتمتّعـون ويتجبَّرون، وأولياءه وأحبَّاءه يُضْطَهدون ويُشَـرَّدون، فإيَّاكـم أن تُلهيكم دنياكم عن آخرتكم، إنَّ الله يعطي الدنيا مَن يُحبُّ ومَـن لا يُحبُّ، ولكنَّه لا يُعطي الدِّين إلَّا مَن أحبَّ، ولا ديـن إلَّا بالعلم، ولا علم إلَّا بالعمل، ولا عمل إلَّا بالإخلاص، وإنِّي أدعو ربِّي ﷻ أن يجعلكم ذُخْرًا لي من بعدي، وأن يمدَّكم بتوفيقه ورعايتـه، حتَّى تكونـوا من الَّذين يعلمـون فيعملون، ويعملون فيُخلصون، ويُخلصون فيقبلون.

تلميذ آخر: كأنَّها يا أبا عبد الله وصيَّة مُوَدِّع!

سـعيد: إي والله. فمَن يدري! لعلَّ هذا اللقاء هو آخر العهد بكم في هذه الدار الفانية.

تلميذ: أطال اللهُ حياةَ الشيخ وأدام النفع به.

سـعيدٌ: قد علمتم أنَّ هذا الرجل قد بثَّ عيونَه وجنودَه يبحثون عَنِّي في كلِّ مكان، وما أراه إلَّا مُدْركي، وما أراه إن أدركني إلَّا قاتلي.

الطلَّاب في لهفةٍ وجَزَعٍ: نفديك بدمائنا وأرواحنا وما ملكتْ أيدينا.

سعيد: إنَّ الموت نهاية كلِّ حيٍّ، ومَن لم يمُت بالسيف مات بغيره.

وَطَعْمُ الْمَوْتِ فِـي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ[1]

(١) ديوان المتنبي ص٢٣٢، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

ولا أقول إلَّا ما قال الصالحون: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وسأخبركم: أنِّي جلستُ يومًا وصاحِبَيْن لي، فوجدنا حلاوةَ الدعاء، فدعونا كلٌّ بما في نَفْسه، فكلُّنا سأل الله الشهادة في سبيله، فأمَّا صاحباي فاستجاب الله لهما، وفازا بها، وأمَّا أنا فأنتظرها وأرجوها.

تلميذٌ آخر: وكيف نسكت على هذا الطاغية الجبَّار؟

سعيد: يا بُنَيَّ! إنَّ لله أمرًا لا بدَّ أن يُنفذه، فقد ثرنا معشر الفقهاء على هذا الرجل، وانضممنا إلى ابن الأشعث في قتاله، تركنا الكتب، وجهزنا الكتائب، وودَّعنا الأقلام، وحملنا السيوف، واستبدلنا بمِداد العلماء دماءَ الشهداء، أردنا أمرًا وأراد الله غيره، امتحانًا لإيماننا وصبرنا، فقُتِل مِنَّا مَن قُتِلَ، وأُسِرَ مَن أُسِرَ، وفرَّ من فرَّ.

طالب: وهل على أهل الحقِّ من جُناح إذا غُلبوا أمام طغيان المُبْطِلين؟

سعيد: لا جناح ولا إثم إن شاء الله، إنَّما يكون الإثم إذا رضينا بالمنكر أو أعنَّا على ظلم، أمَّا إذا سعينا واجتهدنا فهذا ما نملكه، ولا نملك النتائج، إنَّ الله تعالى لا يسألنا: لِمَ لَمْ تنجحوا؟

ولكنْ يسألُنا: لِمَ لَمْ تعملوا؟

الطالب عُمَيْر: ولكنْ أَمَا لهذا الليل من آخِر؟! أيظلُّ الحقُّ كَسِيرَ الجَنَاح؟ يُقْتَلُ دُعاتُه، ويُعذَّب أهلُه وأنصاره؟! بينما الباطل يُصَعِّر خَدَّيه، مختالًا بعَدَدِه وعُدَّته، يحكم في الدماء والأموال والحرمات بما يريد، ولا مُعَقِّب ولا مُعَارض؟! ألسنا على الحقِّ وهؤلاء الظلمة على الباطل؟!

سعيد: ثَكِلَتْكَ أمُّك يا عُمَير، أوَفي شكٍّ أنتَ من ذلك؟ والله لو قَطَّعونا إرْبًا إرْبًا حتَّى تخطفتْنا الطير، وتوزَّعَتْنا بطون السباع، ما شككنا أنَّنا على الحقِّ، وهم على الباطل.

QaradawiBooks.com

عُمَيْر: فما بالهم ينتصرون وينتصرون؟ ونحن ننهزم وننهزم؟

سعيد: ويْحَكَ، إنَّما ننهزم حقًّا يوم نشكُّ فيما ندعو إليه من حقٍّ، أو نغترُّ بما هم عليه من باطل، إنّ صاحب الحقّ الأعزل إذا ثبت على حقِّه في وجه الباطل المدجَّج بالسلاح فقد انتصر.. انتصر، وإن كان في نظر قِصَار النظر مغلوبًا مهزومًا. هل أضرب لكم مثلًا؟

إنَّ أبرز مثل في تاريخنا هو رسول الله ﷺ يوم الهجرة: يوم أُخرج من داره وبلده مضطهدًا مطاردًا مُستخفيًا في جوف غار معتم، ترى ماذا تعتبرونه في هذا الموقف؟ هل كان منهزمًا أم كان منتصرًا؟

(الطلَّاب سكوتٌ لا يجدون جوابًا)

سعيد: ما لكم لا تُجيبون؟

أحد الطلَّاب: أيُّ مؤمنٍ يجرؤ على أن يصف رسول الله بالهزيمة وهو الَّذي أيَّده الله بنصره؟

سعيد: أصبتَ وأحسنتَ، فهل كان في هذا اليوم منتصرًا؟

(الطالب يرتبك ولا يُحسن الإجابة)

سعيد: أمَّا أنا فلا أعُدُّ هذا اليوم إلَّا يومًا من أيام النصر والعِزَّة في الإسلام، وما لي لا أفعل وقد جعله الله كذلك في كتابه المبين، استمعوا معي إلى هذا الخطاب الإلٰهي: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فقد نصره الله إذنْ في هذا اليوم، يوم الغار، فمَن يجرؤ على أنْ يُسمِّيَ الرسول منهزمًا فيه، وقد نصره الله؟

QaradawiBooks.com

إنَّ عمر الفاروق المُلْهَم قد لمح ببصيرته هذا المعنى الكبير في يوم الهجرة، فجعلــه مُفْتَتح تاريخ الإســلام، وليس معقــولًا أنْ يبدأ تاريخ المسلمين بيومٍ انهزم فيه الإسلام.

عُمَيْر: معذرةً يا أستاذنا، فلعلِّي أغضبتُك بكلمتي. وإنَّما قلتُ ما قلتُ لأنَّ الإنسان خُلِق من عجل، وكلَّما رأيت المحن والآلام والنكبات تنزل بســاحة المؤمنين الدُّعاة إلى الله، ذهب الصبر، وضاق الصدر، وخاصَّة أنِّي أرى دُعاة الباطل الَّذين يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون، يعيشون في نعيمٍ وعافية، وقد أخذت الأرض لهــم زُخْرُفَها وازَّيَّنت، وظنُّوا أنَّهم قادرون عليها!

ســعيد: مهلًا يا بُنَيَّ، إنَّ المحن والآلام لا بدَّ منها لحملة الرسالات وورثة النبوَّات، ليبتليَ الله ما في صدورهــم، وليُمَحِّص ما في قلوبهم، وليَمِيز بها الخبيثَ من الطيِّب، أمَّا ما يســرح فيــه أهل الباطل من نعيمٍ وعافية، فإنَّه مكر من الله بهم، وإملاء منه لهم، حتَّى يقيم عليهم الحجَّة، ويقطع عنهم الأعذار، ثمَّ يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كما قال في قومٍ من هــؤلاء: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

وإنَّ سُــنَّة الله يا بُنَيَّ هي مداولة الأيام بين النــاس، فيومٌ لك ويومٌ عليك، ولكن المدار على العاقبة، والعاقبة للمتَّقين.

هل فهمت يا عُمَيْر واطمأنَّ قلبُكَ أم لا يزال في صدْرِكَ حَرَج؟

إن كان ذلك يا بُنَيَّ، فإنَّكَ فــي حاجةٍ إلى أنْ تقرأ القرآن من جديد، وأنْ تفتح له عقلك وقلبك، لتعرف كيف يبتلي الله عباده بعضَهم ببعض؛

QaradawiBooks.com

ليُمَحِّص الله الَّذين آمنوا ويمحق الكافرين. ألم تقرأ أوَّل سورة العنكبوت: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]؟ ألم تقرأ قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]؟

وقوله سبحانه في سورة القتال: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾ [محمد: ٤].

وفي السورة نفسها يقول: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١].

والله ما زال البلاء ينزل بأصحابي من حولي وأنا في عافية حتَّى احتقرتُ نَفْسِي، وظننتُ أن ليس لله فيّ حاجة حتَّى نزل بي البلاء، فيرجع إليَّ الأمل أنْ أُدْرِكَ أصحابي، وأنال حظًّا ممَّا يناله الدعاة إلى الله.

عُمَيْر: جزاك الله عَنَّا خيرما يجزي به أئمَّة الهدى. لقد ـ والله ـ حَبَّبتَ إليَّ البلاء.

سعيد: إنَّ المؤمن يسأل الله العافية، ولا يتمنَّى البلاء، فإذا نزل به صَبَر صَبْر الأبطال.

(يدخل أحد الشرطة فجأة على سعيد وتلاميذه)

الشرطي: مكانَكم، علمت أنّ فيكم هنا سَعِيد بن جُبَيْر، فأيُّكم هو؟

التلاميذ في صوتٍ واحدٍ: أنا.

الشرطي: يا عجبًا! كلُّكم سَعِيد بن جُبَيْر؟!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التلاميذ: أجل! كلُّنا سَعِيد بن جُبَيْر.

الشرطي: سَعِيد بن جُبَيْر واحدٌ أم عشرة؟! سعيد واحدٌ منكم، فدُلُّوني عليه واختصروا الطريق، وإلَّا أبلغتُ عنكم الوالي، فحَقَّت العقوبة عليكم جميعًا.

أحدهم: أنا سَعِيد بن جُبَيْر.

آخر: لا تُصَدِّقْه، أنا سعيد.

ثالث: لا تصدِّقْهما، أنا والله سعيد.

الشرطي: وتحلف بالله أنَّك سعيد؟!

سعيد: لا تُصَدِّقْهم يا بني، أنا سعيد، وهؤلاء تلامذتي. هل تَظُنُّ سَعِيد بن جُبَيْر شابًّا؟! إنَّ سعيدًا في السابعة والخمسين، وهؤلاء شباب كما ترى، فكيف تُصَدِّق أنَّ أحدهم سَعِيد بن جُبَيْر؟!

الشرطي: هذا صحيح. كيف غاب عَنِّي هذا؟

(ثمّ يلتفت إلى الَّذي حلف منهم أنَّه سعيد): كيف حلفت بالله يا هذا أنَّك سعيد؟ طالب علمٍ وتحلف كاذبًا؟!

التلميذ: ما حلفتُ كاذبًا ولا عدوت الصدقَ قطُّ. قلت: أنا والله سعيد. وهذا حقٌّ، فإنِّي ـ وايم الله ـ سعيدٌ كلَّ السعادة إذا فديتُ فقيه الإسلام سَعِيد بن جُبَيْر.

الشرطي: ما رأيتُ كاليوم في الإيثار والفداء. قاتل الله الحجَّاج، يتَّخذُنا أدواتٍ لإيذاء المسلمين وتعذيب أهل العلم والدِّين، سُحْقًا لهذه الوظيفة السيِّئة.

QaradawiBooks.com

(ثمّ يلتفت إلى سعيدٍ ويقول): يا شيخ، إنِّي والله تاركك، وإنِّي لأرجو أنْ ألقى الله ويدي بريئة من القبض عليك وتسليمك للظلمة الجبَّارين! وأنتم يا أبناء الشيخ، أناشدكم الله ألا تُخبروا أحدًا بأنِّي رأيتُكم أو رأيتموني، فإنَّ الطاغية لو علم ذلك لم يكن لديه عقاب إلَّا ذَبْحي، إلَّا ذبحي (ويشير إلى رقبته)، والله لولا أفراخ صغار أعولهم ما بقيتُ في هذا العمل يومًا واحدًا. اللهمَّ عَفْوَك وغُفْرَانَك. (يسير الشرطي خطوتين ثمَّ يعود فيقول): الأفضل أن يترك الشيخ هذا البيت إلى بيتٍ بعيدٍ عن أرجل الناس وأنظارهم، عسى الله أنْ يُعمي عنه أعينَ الظالمين.

أحد التلاميذ: الحمد لله، لن يزال الخير في هذه الأُمَّة إلى يوم القيامة، مَن كان يظنُّ أنَّ مثل هذا الشرطي يحمل مثل هذا القلب؟!

(يخرج الشرطي، ويلتفت سعيد إلى تلاميذه).

سعيد: لقد أخجلتموني أيُّها الأبناء الكرام بصنيعكم، وإنِّي والله لأعجز من أنْ أشكركم، فأدع ذلك لربِّي يتولَّى جزاءكم عنِّي، إنَّه غَنِيٌّ حميد.

يا أبنائي، إنَّ الَّذين يجتمعون على الدنيا اليوم يفترقون من أجلها غدًا، وأنَّ الرابطة الَّتي لا تنفصم عُراها هي رابطة الدين، رابطة التقوى، فاحرصوا على أنْ تظلَّ رابطتكم لله وفي الله ﷻ، فإنَّ ما كان لله دام واتَّصل، ألم تقرؤوا قول الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]؟

أستودعكم الله يا أبنائي.

(ستار)

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

«المنظر الثاني»

(سعيد في بيت بعيد عن العمران في أطراف مكَّة، فيدخل عليه صديق له هو أبو حُصَيْن).

أبو حُصَيْن: أتدري يا أبا عبد الله ما قال والي مكَّة الجديد للنَّاس في المسجد؟

سعيد: ماذا قال؟

أبو حُصَيْن: قال: والَّذي نحلف به ونحجُّ إليه، لا أجد سعيدًا إلَّا قتلته وهدمت داره، وقد أجَّلت لكم فيه ثلاثة أيام. هكذا قال الوالي وهو يُرغي ويُزْبِد. وقد بلغني أنَّ رجلًا دلَّه على مكانك هذا، ولا بدَّ أنَّه مُرْسِلٌ في طلبك. فأطعني واخرجْ من هنا.

سعيد: يا أبا حُصَيْن، والله لقد فررتُ واختفيتُ حتَّى استحييتُ من الله، فدعني هنا حتَّى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

أبو حُصَيْن: والله إنِّي لأراك كما سمَّتك أمُّك سعيدًا. أستودعك الله.

سعيد: أستودعك الله الَّذي لا تضيع ودائعه.

(يخرج أبو حُصَيْن، وبعد قليل يطرق الباب طارق، ويدخل رجل أرسله الوالي للقبض عليه).

نسخة مجانية

الرجل: لقد عرف الوالي مكانك فأرسلني إليك، وأمرني أن آخذك وأذهب بك إليه، وإنِّي أعوذ بالله من ذلك.

فالحقْ بأيِّ بلدٍ شئت وأنا معك.

سعيد: لقد فررتُ واختفيت حتَّى استحييت من ربِّي، وما قدَّره الله كائن.

الرجل: إنَّما نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، وإنِّي لا أخاف عليك بقدر ما أخاف على هذه الأُمَّة، أنْ يَحِلَّ بها سخط الله إذا قتلت علماءها، فأطعني ولنخرج معًا، كما خرج موسى فارًّا من فرعون، ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

سعيدٌ وقد أثَّر فيه كلام الرجل: ألك هاهنا أهلٌ وولد؟

الرجل: نعم.

سعيد: إذنْ يأخذوهم ويُصيبهم من المكروه ما كان سيُصيبني.

الرجل: إنِّي أكِلُهم إلى الله.

سعيد: لا والله. لا أكون سببًا في إيذاء مسلم أبدًا، نَفِّذ ما أُمرتَ به، وسيجزيك الله بحُسْن نيَّتِكَ.

الرجل: الوالي سيبعث بك إلى الحجَّاج، وهو مَن تعلم عتوًّا واستكبارًا وقسوةً.

سعيد: لتكن مشيئة الله. لا حرج عليك، نفِّذ ما أُمِرْتَ به.

الرجل: لقد رضيتُ أنْ أكون رسول الوالي إليك؛ لأفرُّ بك إلى مكانٍ أمين. فكيف تطاوعني نفسي أنْ أضع الوثاق في يَدَيْكَ وأُسَلِّمَك لمن لا يرحم؟!

QaradawiBooks.com

اصنعْ معروفًا، وهيَّا نخرج من هنا.

سعيد: سيُؤْذَى أهلُك وأولادك بسببي، ولا تطاوعني نفسي بذلك أبدًا، ولو أصابني ما أصابني، افعلْ ما أُمِرْتَ به، هاك يديَّ فأوثقهما.

الرجل «**وقد ذَرَفَتْ عيناه ـ يتقدَّم فيُوثِقُ يدَيْه ويقول**»: لا رادَّ لما قضاه الله، اللهمَّ إنَّكَ تعلم أنِّي لذلك من الكارهين. إنَّا لله وإنا إليه راجعون!

(ستار)

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الثالث

«المنظر الأوّل»

(زنزانة في سجنٍ تضمُّ في أحشائها ثلاثةً من الفقهاء: عامر الشَّعْبي، ومُطَرِّف بن عبد الله، وسَعِيد بن جُبَيْر».

الشَّعْبي: ماذا عندك هذا الصباح يا مُطَرِّف؟

مُطَرِّف: رؤيا رأيتُها استبشرتُ بها خيرًا، وأوَّلتها أنِّي أخرج من هذا السجن الكئيب.

سعيدٌ كالمعترض: ليس الخير دائمًا في الخروج من السجن، إنَّما الخير دائمًا في الثبات على الحقِّ، إنَّ يوسف الصِّدِّيق عليه السلام خُيِّرَ بين الفاحشة وبين السجن فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

الشَّعْبي: ولكنَّه ليس السجن فقط يا أبا عبد الله، إنَّه القتل! إنَّه الذبح!

سعيد: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

مُطَرِّف: أتريد أنْ تُسَلِّم رقبتَكَ إلى هؤلاء الطغاة وهم لا يخشون الخالق ولا يرحمون المخلوق؟!

سعيدٌ مُشيرًا إلى رأسه: وماذا على ابن جُبَيْر إذا فُصِلَ هذا عن هذا في سبيل الله! (في عنف وإنكار) أنسيتم يا قوم ما يريده هؤلاء منكم؟

نسخة مصورة

يريدون أنْ تعترفوا أمامهم أنَّكم خوارج مارقون، وأنَّكم كفرتم بخروجكم عليهم، فهل تُقِرُّون بالكفر؟

الشَّعْبي: يا أبا عبد الله، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

سعيد: وأنت يا مُطَرِّف تنوي أنْ تعترف أمام الطاغية بأنَّك كافر؟

مُطَرِّف: يا أبا عبد الله، إنَّ في المعاريض مندوحةٌ عن الكذب، سأقول كلامًا ملفوفًا على سبيل التورية، أهرب به من الجواب الصريح.

فلماذا لا تصنع مثلما نصنع وتنجو برأسك يا سعيد؟

سعيد: وما رأس سعيد في رؤوس الأنبياء والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين؟ ألم يُنْشَر نبيُّ الله زكريا بالمنشار فِرْقَتَيْن؟ ألم يُذبح السيِّد الحصور يحيى؟ ألم تروا عن النبيِّ ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمةُ حقٍّ عند سلطان جائر**»[1]؟ ألم يمُت عمر وعثمان وعليٌّ والحُسَيْن رضي الله عنهم مقتولين ظلمًا؟

الشَّعْبي: بلى، وقد قلتُ كلمة الحقِّ، بل قاتلتُ من أجلها، ثمَّ أراد الله لنا ما ترى، فلا بدَّ من الصبر حتَّى تتهيَّأ لنا فرصة أخرى.

سعيد: سأظلُّ على كلمة الحقِّ أحيا بها وأموت عليها، وأتحدَّى بها جبروت الطغاة، والله غالبٌ على أمره.

مُطَرِّف: وهَبْكَ قلتَ اليوم كلمةَ الحقِّ صريحةً مُرَّة، فهل يزول جبروت الطغاة أو طغيان الجبابرة وتنحلُّ العُقْدة؟

---

(١) رواه أحمد (١٨٨٢٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في البيعة (٤٢٠٩)، عن طارق بن شهاب.

QaradawiBooks.com

الشَّعْبي: كلَّا، سيُقْتَل سَعِيدُ بن جُبَيْر، العالم الفقيه، وسيبقى الحجَّاج، الطاغية الظالم، وستبقى دولةُ الظلم والطغيان كما هي.

سعيدٌ في غضب: ما هذا الَّذي أسمعه منكما؟ أمثلكما يقول هذا الكلام؟! متى كان الحرص على الحياة غاية الأنبياء وورثة الأنبياء؟! والله إنَّ كلَّ شهيدٍ يسقط في سبيل الحقِّ لَيُزَلْزِلُ الأرض تحت أقدام الطغاة. وقد يبقى الطغيان حينًا من الدهر، ولكنَّه سيبقى مُرْتَجِف الأوصال، محرومًا من الأمن والطمأنينة وراحة البال، على أنَّ شجرة الإسلام لا يرويها إلَّا هذه الدماء الَّتي تثبت أنَّ الأُمَّة لا تزال بخير، وأنَّ فيها مَن يبيع نفسه لله طائعًا مختارًا.

(الشَّعْبي ومُطَرِّف يتأثَّران بحديث سعيدٍ ولهجته القويَّة).

الشَّعْبي: معذرة يا أبا عبد الله، فما نحن إلَّا حريصون عليك وعلى انتفاع الأُمَّة بك، فالناس محتاجون إليك يا سعيد، محتاجون إلى علمك وفقهك.

سعيد: يا شَعْبِي، كما يحتاج الناس إلى مَن يُعلِّمهم الفقه يحتاجون إلى من يُعَلِّمُهم الثبات على الحقِّ في وجه الجبابرة الطُّغاة.

مُطَرِّف: ما أرانا إلَّا في مَقامٍ دون مقامك يا سعيد. دعْه يا شَعْبِيُّ فوالله لكأنِّي أنظر إلى دم الشهادة يترقرقُ في وجهه.

سعيد: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

(السَّجان يفتح الباب ويدخل معه ثلاثة. يغلق عليهم باب الزنزانة. الجميع صامتون).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(أحد الثلاثة يشــقُّ هذا الصمت، ويدنو من الشيوخ الثلاثة، ويُوجه إلى مُطَرِّف بن عبد الله هذا السؤال»: أفتني يا شيخ، نفع الله بك.

مُطَرِّف: هذان إماما الكوفة وفقيهاها يُفتيانك.

الرجل: مَن هما يرحمك الله؟!

مُطَرِّف: أمَّا هذا فسَعِيد بن جُبَيْر، وهذا عامر الشَّعْبي.

سعيد: وهذا مُطَرِّف بن عبد الله.

الرجل: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، العلماء يُسجنون ويُعذَّبون! والفسقة الظلمة يسرحون ويمرحون.

(يتوجَّه الرجل إلى سعيدٍ ويسأله):

أفتني يا إمام، لقد حلفتُ على امرأتي بالطلاق ثلاثًا أنَّ الحجَّاج في النَّار، فهل تُطَلَّق امرأتي؟

سعيد: سل الشَّعْبيَّ يُجيبُك.

الرجل يتوجَّه إلى الشَّعْبي: ما قولُك؟

الشَّعْبي: أيُّها الرجل، لئن كان الحجَّاج في الجنَّة بعد كلِّ الَّذي فعله فوالله ما يضرُّك أنْ تعيش مع امرأتك على حرام؟!

الرجل: شفيتَ والله صدري.

يتقدَّم آخرُ ويسأل الشَّعْبي:

الرجل الآخر: أجِبْني يا إمام أيَّدك الله، هل الحجَّاج كافرٌ أم مؤمن؟

الشَّعْبي ساخرًا: الحجَّاج مؤمن.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرجل الآخر مُنْكِرًا: الحجَّاج الغاشم الطاغية الجبَّار قاتل المسلمين وعدوُّ الصالحين، ومُذِلُّ الأحرار، وفرعون العرب، مؤمنٌ؟!

الشَّعْبي: نعم مؤمن بالجِبْت والطاغوت، وكافرٌ بآيات الله!

الرجل: أمَّا هذا فنعم.

(يدخل السَّجّان، فيجد القوم صامتين مُطْرِقين).

السجَّان: ما لكم سكتُّم حين دخلتُ عليكم؟

سعيد: رحم الله امرأً قال خيرًا فغنم، أو سكت فسلم.

السجَّان: أيُّها الشـــيخ، إنِّي أراك من الصالحين، فما تقول في أعوان الظلمة!

سعيد: أعوان الظلمة كلابُ جهنَّم، يعوون فيها كما تعوي الكلاب.

السجَّان: ما تقول فيَّ؟ أأنا من أعوان الظلمة؟

ســـعيد: لا، أعوان الظلمة مثل مَن يغســـل لك ثوبـــك، ويطهو لك طعامك...

السجَّان مُستغربًا: وأنا؟!

سعيد: أنت؟ أنت من الظلمة أنفسهم. ألست تُساهم في تعذيب خلق الله؟! إنَّ الله تعالى حين لعن فرعون وهامـــان لعن معهما جنودَهما، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصـص: ٤٠]، وقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

السَّجّان: ولكنِّي لا أستطيع أنْ أقول: لا!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سعيد: لو لم يعرفوا فيك القسوة ما ولَّوك هذا الأمر.

السجَّان: إنِّي أتقاضى على ذلك أجرًا، لولاه جاع أولادي.

سعيد: رزق الله في كلِّ مكان، فإن شئتَ فابحثْ عن عملٍ آخر، ولا تُشارك في ظلم. ومَن صدق الله صدقه الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

السجَّان يرفع يديه إلى السماء: اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي أعمل سجَّانًا عند هؤلاء الحكام وقلبي يلعنهم، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك أنْ أكون ظالمًا أو عونًا لظالم، اللهمَّ اغفرْ لي ما مضى، واجعلْ لي مخرجًا ممَّا بقي.

(ستار)

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

«المنظر الثاني»

(الحجَّاج في مجلس الإمارة متّكئًا على أريكته، وعلى يساره بعض حاشيته. يدخل رئيس الشرطة).

الحجَّاج: أحضروا المتَّهَمين الثلاثة واحدًا بعد الآخر.

(يُدخلون عليه مُطَرِّف بن عبد الله)

الحجَّاج: عرفتَ ما كتبه أمير المؤمنين في شأنكم؟

مُطَرِّف: عرفت.

الحجَّاج: أكافر أنت أم مؤمن؟

مطرف: أصلح الله الأمير، إنَّ الَّذي شقَّ العصا، ونقض العهد، وخان الأمانة، وفارق السُّنَّة، وأخاف المسلمين، لجديرٌ بالكفر.

الحجَّاج لمن حوله في نشوة النصر: لقد اعترف بكفره ونجا، خَلُّوا عنه.

بعضُ الحاشيةِ لبعضٍ في خفوت: والله لكأنَّما يُعَرِّض بالأمير!

يدخل الشَّعْبيُّ والحاجب يُسِرُّ له في أذنه: اعترفْ له بأنَّك كافر وانجُ برأسك.

(وكان الحجَّاج خافضًا رأسه لم يشعر به، فلمَّا رفع رأسه رآه).

QaradawiBooks.com

الحجَّاج: وأنت يا شَعْبِي فيمَن أعان علينا وألَّب وسعى في الفتنة؟

الشَّـــعْبي: أصلح الله الأمير، لقد نصحني الناسُ بأشـــياء أقولها لك، أُرضيك بها وأسخط الله ﷻ، ولست فاعلًا. ولَكِنِّي أَصْدُقُك القول: لقد خبطتْنا أيُّها الأمير فتنةٌ عمياء، لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، حتَّى كان من أمرنا ما كان.

الحجَّاج لحاشـــيته: صدق. والله ما كانوا بررةً أتقيـــاء، فتورَّعوا عن قتالنا، ولا فجرة أقوياء فيقدروا علينا.

انطلق يا شَعْبِيُّ، لقد عفونا عنك.

هاتوا شيخ السّوء، ورأس الفتنة.

(يدخل سَعِيد بن جُبَيْر)

الحجَّاج مُتجاهِلًا: مَن أنت؟

سعيد: سَعِيد بن جُبَيْر.

الحجَّاج: بل شَقِيُّ بن كُسَيْر.

سَعِيد: أُمِّي كانت أعلم باسمي واسم أبي منك.

الحجَّاج: شقيتَ وشَقِيَتْ أمُّك.

سعيد: إنَّما يشقى مَن كان من أهل النار، فهل اطَّلعتَ على الغيب.

الحجَّاج: لماذا فررتَ واختفيتَ هذه المدَّةَ كلَّها؟

سعيد: أقول ما قال موسى عليه السلام: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١].

الحجَّاج مُحْتَدًّا: أتُعَرِّض بي؟

QaradawiBooks.com

سعيد هادئًا: بل أُقَرِّر واقعًا.

الحجَّاج: أكافرٌ أنت أم مؤمن؟

سعيد في قوَّة: ما كفرتُ بالله منذ آمنتُ.

الحجَّاج: تدّعي الإيمانَ أيُّها المنافق! والله لأوردنَّك حِيَاض الموت!

سعيد في ثقةٍ وارتياح: إذن أصابت أُمِّي حين سمَّتْني سعيدًا. فأيُّ سعادة أعظم من الشهادة في سبيل الله وجوار سيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب؟

الحجَّاج ساخرًا مُهَدِّدًا: لن تجاور إلَّا الخوارج والمارقين، ولأُبْدِلَنَّك بالدنيا نارًا تلظَّى.

سعيد واثقًا: لو علمتُ أنَّ ذلك بيدك لاتَّخذتُك إلهًا من دون الله!

الحجَّاج مغتاظًا: ويلك يا شَقِيّ!

سعيد: إنَّما الويلُ لمن زُحزح عن الجنَّة وأدخل النار.

(يتَّجه الحجَّاج بالحديث إلى ناحيةٍ أخرى)

الحجَّاج: ما قولك في الخلفاء؟ وأيُّهم أفضل؟

سعيد يسدُّ هذا الباب عليه: لستُ عليهم بوكيل، وما أنا عليهم بحفيظ.

الحجَّاج: أيُّهم أحبُّ إليك؟

سعيد: أرضاهم لخالقه ﷻ.

الحجَّاج: ومَن منهم أرضاهم لخالقه؟

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية

سعيد: علم ذلك عند مَن يعلم سرَّهم ونجواهم.

الحجَّاج: أبيتَ أن تَصْدُقَني؟!

سعيد: بل لم أُرِدْ أن أكذب عليك.

الحجَّاج: وما تقول في معاوية؟

سعيد: لقد شغلني أمرُ نفسي عن تتبُّع أعمال الرجال والحُكْم عليهم.

الحجَّاج: تفرُّ من الجواب؟!

سعيد: طوبى لمن شغله عَيْبُه عن عيوب الناس.

الحجَّاج: ما رأيك في اقتتال عليٍّ ومعاوية؟

سعيد: تلك دماءٌ طهَّر الله منها أيدينا، فلنُطهّرْ منها ألسنتنا.

الحجَّاج: وما تقول فيَّ؟

سعيد: أنت أعلم بنفسك.

الحجَّاج: ولكنِّي أريد أنْ أعرف رأيك.

سعيد: إذن يسوؤك ولا يسرّك.

الحجَّاج: ولو.. أريد أن أعرفه.

سعيد: أعفني.

الحجَّاج: لا عفا الله عَنِّي إن عفيتك.

سعيد: إن كان ولا بدَّ، فإنِّي لأعلم أنَّك مخالفٌ لكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وهدي الراشدين من خلفائه. ترى من نفسك أمورًا تريد بها حفظ هيبتك وتمكين سلطانك، وهي تُقحمك الهلكة، وسترد غدًا على الله فتعلم.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحجَّاج: ألم أرسل الجيوش لتُقاتل في سبيل الله؟ ألم أبعث محمدَ بن القاسم الثقفي لفتح بلاد السِّنْد؟ ألم أوطّد دعائم الأمن في ديار العراق؟

سعيد: بلى، ولكنَّك جبَّارٌ في الأرض، مُسْرِفٌ في الدماء، والرسولُ ﷺ يقول: «**لَزَوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتل امرئ مسلم**»[1]، فكيف بمَن قتل الألوف من المسلمين؟!

إنَّك تريد يا حجَّاج أنْ تتَّخذ عباد الله عبيدًا لك، يُطيعون في المعروف والمنكر، ويقولون في الحقِّ والباطل: سمعنا وأطعنا. وديننا لا يُقِرُّ الطاعة إلَّا في المعروف، ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

الحجَّاج كالمعتذر: أوَتريد أن نترك الطامعين والمتربِّصين حتَّى يفتكوا بنا؟ لا بدَّ أن نتغدَّى بهم قبل أنْ يتعشَّوا بنا.

سعيد: ولكنَّ دين الله لا يعرف هذه الوجبات المنكرة. الغداء بقومٍ والعشاء بآخرين! لو كنتَ تريد الآخرة يا حجَّاج لم تؤثر عليها سلطانًا إنْ بقي اليوم زال غدًا.

(الحجَّاج يُظهر التجلُّد، ويكظم غيظه، ويتَّجه بالحديث وجهةً أخرى)

الحجَّاج: أنا أَحَبُّ إلى الله منك.

سعيد: الله أعلم بالغيب، وستوفَّى غدًا كلُّ نفسٍ ما كسبت، وهم لا يُظلمون.

---

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥)، مرفوعا وموقوفا ورجح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٧)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

الحجَّاج: أنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة.

سعيد: الجماعة ما وافق الحقَّ وإن كنتَ وحدك، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه [1]، والفتنة هي اضطهاد الناس في دِينهم.

الحجَّاج: هذه آراؤك الضالَّة الَّتي تُلَقِّنها لتلاميذك.

سعيد: بل هو علم رسول الله ﷺ، أخذه عنه أصحابه، ورويناه نحن عنهم.

الحجَّاج: ألا ترى ما نَجْمع لأمير المؤمنين؟

سعيد: لم أر شيئًا.

الحجَّاج: يا غلام، أحضر من الذهب والفضَّة والكسوة والجوهر.

(فأحضره فوضعه بين يدي الحجَّاج)

الحجَّاج: ما قولك في هذا؟

سعيد: هو حسن إن قمتَ بشرطه.

الحجَّاج: وما شرطه؟

سعيد: أن تأخذه من حِلِّه، فتضعه في حقِّه، ولا تبخل به عن أهله، وإلَّا ففزعةٌ واحدةٌ يوم القيامة تُذهل كلُّ مُرْضِعَةٍ عمَّا أرضعت، وتضع كلُّ ذات حملٍ حملها.

الحجَّاج: أتحبّ أنَّ لك من هذا شيئًا؟

سعيد: لا أحبُّ ما لا يُحبُّ الله.

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢٢/١) رقم (١٦٠)، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، نشر دار طيبة، السعودية، ط ٨، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحجَّاج: دعنا من هــذا كلِّه، يقولون إنَّك لم تضحك قطُّ! فما ســرّ هذا؟

ســعيد: لم أجد في الحياة ما يُضحكني! وكيف يضحك امرؤ طريقه من فوق جهنَّم؟ لا يدري أيمرُّ من هناك ناجيًا أم يسقط فيها جاثيًا؟!

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١].

الحجَّاج: فما بالنا نحن نضحك؟

سعيد: لم تستوِ منَّا القلوب، وكلٌّ مُيسَّر لما خُلِق له.

الحجَّاج: ألم تسمع إلى العود والنَّاي؟!

سعيد: لقد شغلني أمر آخرتي عن لهو الحديث.

الحجَّاج: أحضروا العود والنَّاي.

(يحضر الناي فينفخ فيه نافخ، فيبكي سعيد)

الحجَّاج: ما الَّذي يُبكيك؟! إنَّما هو اللهو والطَّرب!

ســعيد: بل هو الحزن والكمد، لقد ذكرني هذا النفــخ أمرًا عظيمًا، ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبــأ: ١٨]. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

الحجَّاج: أتخدعني برقائق الكلام لأعفو عنك؟

سعيد شامخًا: إن كان العفو من الله، وأمَّا أنت فلا براءة لك ولا عذر يا حجَّاج.

الحجَّاج في غضب: فاخترْ لنفسك أيَّ قِتْلةٍ تريد أن أقتلك!

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

سعيد في صرامة: بل اخترْ لنفسك أنت يا حجاج، فوالله ما تقتلني قِتْلة إلَّا قتلك الله مثلها في الآخرة.

الحجَّاج: والله لأقتلنَّك قِتْلَةً لم أقتلها أحدًا قبلك، ولا أقتلها أحدًا بعدك!

سعيد: إذن تُفْسِدُ عليَّ دنياي، وأفسد عليك آخرتك.

الحجَّاج: يا غلام، السيف والنِّطَع.

(يحضر الغلام النِّطَع والسيف)

الحجَّاج: خذوه.

(يأخذه الغلام. فلمَّا ولَّى ضحك، فأخبره بعض جلسائه أنَّ سعيدًا ضحك).

الحجَّاج: رُدُّوه، ألم تقل إنِّكَ لم تضحك قطُّ، فما الَّذي أضحكك الساعة؟

سعيد: أضحك من جراءتك على الله تعالى، ومن حلم الله عليك.

الحجَّاج مَغِيظًا: اقتلوه.. اقتلوا هذا الرجل.

سعيد وقد اتَّجه إلى القبلة:

﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

الحجَّاج: وجِّهوه إلى قبلة النصارى الَّذين تفرَّقوا واختلفوا بغيًا بينهم، فإنَّه من حزبهم.

غير مرخص للطباعة

سعيد مبتسمًا:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥].

الحجَّاج يشتدُّ غيظُه: كُبُّوه لوجهه، اجعلوا وجهه إلى الأرض.

سعيد: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

الحجَّاج: اذبح عدوَّ الله، فما أسرع لسانه بالقرآن.

سعيد: أمَا إنِّي أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، خُذْها مِنِّي حتَّى تلقاني يوم القيامة يا حجَّاج، اللهمَّ لا تُسلطْه على أحدٍ يقتله بعدي.

(ستار)

* * *

غير مرخصة للطبع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

«المنظر الأخير»

(الحجَّاج نائم على سريره، مستغرق في نومه، وفجأة يفزع ويصيح)

الحجَّاج: أنقذوني! أنقذوني! أنقذوني! خلِّصونـــي منه! إنَّه يريد أن يخنقني! يريد أن يقتلني!

(يدخل عليه غلام له)

الغلام: مَن هو يا سيدي؟ لا أحد هنا!

الحجَّاج: إنَّه هو... هو... س... س... سعيد.

الغلام: سعيد.. مَن؟!

الحجَّاج: ويلك! سَعِيد بن جُبَيْر. يأخذ بخناقي.. سيقتلني.

الغلام: سعيد قُتِل منذ أسبوعين.

الحجَّاج: أنت تُخَرِّف، إنَّه لم يمُت، لقد رأيته الساعة كالجمل الهائج، يريد أنْ يلتقمني.

الغلام: هذه أوهامٌ وأضغاث أحلام يا سيدي.. سعيد مات، قُتِل، أنت قتلته.

الحجَّاج: لا... لا أنا لم أقتله، أنا لم أقتله، هم الَّذين قتلوه.

نسخة مجانية

الغلام: أنت أو هم. المهمُّ أنَّه قُتل ومات ودُفن.

الحجَّاج: يا أحمق! تريد أن تقنعني بموت رجلٍ كان على رأسي منذ لحظات، وقبضتُه على عنقي؟!

ويلٌ للحجَّاج! لـــم يعُد يُصَدِّقه أحد حتَّى غلامـــه. أغلق عليَّ الباب ودعني!

(يخرج الغلام ثمَّ يقف ويقول):

سبحانك اللهمَّ! تُعِزُّ مَن تشاء وتُذل مَن تشاء، وإن ذلَّ الحجَّاج اليوم لبرهان على وجودك وعدلك يا أحكم الحاكمين!

(يستلقي الحجَّاج على ســريره.. وما هي إلَّا لحظات حتَّى يظنَّ في أذنه هذا الصوت): بل اخترْ لنفسك أنت يا حجّاج! فوالله ما تقتلني قتلة إلَّا قتلك الله مثلها في الآخرة.

(يفزع الحجَّاج مرَّةً أخرى)

الحجَّاج: آه... أرجوك... أرجوك... لا تقتلني... لا تقتلني... آه... آه.

(يدخل الغلام)

الغلام: ما بك يا سيدي؟! هوِّن عليك.. لا تخف.

الحجَّاج: كيف لا أخاف؟! إنَّ شــبحه لا يُفارقني.. إنَّه أمامي ها هو. ألا تراه؟

الغلام بصوتٍ خافتٍ: يا عجبًا! الحجَّاج الَّذي أخاف الألوف يخاف اليوم من شبح.

QaradawiBooks.com

الحجَّاج وقد سمعه: إنَّه ليس شبحًا يا غبي، إنَّه سعيد بشحمه ولحمه، إنَّه مُصِرٌّ على قتلي.

الغلام ساخرًا: ولم هذا الخوف من القتل؟! طالما قتلتَ الألوف، فذُق اليوم طعم الَّذي أذقته للناس.

الحجَّاج مُغْضَبًا: أتشمت بي يا وغد؟ لئن عشتُ لأجعلنَّك نكالًا وعبرةً.

الغلام: أجبَّار وأنت على فراش الموت؟! تواضع لله ساعةً قبل موتك.. ولكن هيهات.

وصدق الله العظيم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

(الحجَّاج يسقط من على السرير)

الحجَّاج: آه... ما لي ولسَعِيد بن جُبَيْر؟! ما لي ولسَعِيد بن جُبَيْر؟!

(يشتدّ فزعه، ثمَّ يشهق شهقةً فيموت)

(وعندئذٍ يُسمَع صوتٌ لا يُرى صاحبه):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

(ستار)

تمَّت

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

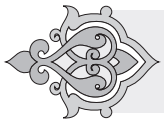

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مطابقة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	١١٥	٤٧
سورة آل عمران		
﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾	٢٨	٣٤
﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ ﴾	١٥٧	٣٣
سورة الأنعام		
﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾	٢٨	٥٠
﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	٤٤	٢٦
﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٤٥	٢٦
﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾	٧٩	٤٦
سورة الأعراف		
﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾	٥٤	١٩
﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	١٢٦	٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التوبة		
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾	٤٠	٢٥
﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ ﴾	٥١	٣٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾	١١١	٢٠
سورة يوسف		
﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾	٣٣	٣٣
﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾	٧٩	١٤
سورة إبراهيم		
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ﴾	٤٢	٤، ٥٠
﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾	٤٣	٤، ٥٠
سورة مريم		
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾	٧١	٤٥
سورة طه		
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾	٥٥	٤٧
﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾	٧٢	٢٠
سورة الفرقان		
﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾	٢٠	٢٧
سورة الشعراء		
﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾	٢١	٤٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾	٨	٣٧
﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٢١	٣١
﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾	٤٠	٣٧
سورة العنكبوت		
﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	١، ٢	٢٧
سورة الأحزاب		
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾	٣٩	٤، ٩
سورة يس		
﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾	٥١	٤٥
سورة الزخرف		
﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	٢٩
سورة محمد		
﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾	٤	٢٧
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾	٣١	٢٧
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾	٢	٣٨
﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾	٣	٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النبأ		
﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾	١٨	٤٥
سورة البروج		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾	١٠	٤، ١٩

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أفضل الجهاد كلمةُ حقٍّ عند سلطان (إمام) جائر	٥، ٣٤
أَمَا إنِّي لا أتخوَّف عليكم مؤمنًا ولا مشركًا. فأمَّا المؤمن فيحجزُه إيمانُه	٢٢
ل	
لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل (امرئ) مسلم	٥، ٤٣
لن تزول قدما عبدٍ يومَ القيامة حتَّى يُسأل عن أربعٍ: عن عُمُره فيم أفناه؟	٢١

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

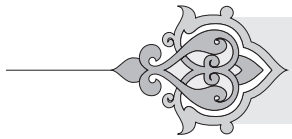

فهرس الموضوعات

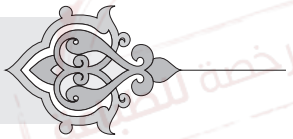

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• **مقدمة** ٧

ومَن هو سَعِيد بن جُبَيْر؟ ٨

❖ **الفصل الأول: (من منظرٍ واحد)** ١١

❖ **الفصل الثاني: «المنظر الأوّل»** ٢١

❖ **«المنظر الثاني»** ٣٠

❖ **الفصل الثالث: «المنظر الأوّل»** ٣٣

❖ **«المنظر الثاني»** ٣٩

❖ **«المنظر الأخير»** ٤٨

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ٥٣

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ٥٧

• **فهرس الموضوعات** ٥٩

❊ ❊ ❊

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس كتب المجلد

١٤٥ ـ يوسف الصديق ٥

١٤٦ ـ نفحات ولفحات ديوان شعر ٨٧

١٤٧ ـ المسلمون قادمون ديوان شعر ٢٤١

١٤٨ ـ عالم وطاغية سعيد بن جبير والحجّاج بن يوسف ٣٧٣

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية